International Journal of Advanced Research in Islamic Studies and Education (ARISE)
e-ISSN 2785-9088

علاج مشكلة الفقر عند ابن الأزرق

من خلال كتابه: «بدائع السلك في طبائع الملك»

[TREATING THE ISSUE OF POVERTY BASED ON IBN AL-AZRAQ'S POINT OF VIEW THROUGH HIS BOOK: "BADA'I' AL-SILKI FI TABA'I' AL-MULKI"]

NASR 'ABDUH 'ALI MUHAMMAD AL-SALAWI[1*] & ROSLAN ABDUL RAHMAN[1]

[1*] Fakulti Pengajian Kontemporari Islam, Universiti Sultan Zainal Abidin, 21300, Kampus Gong Badak, Kuala Nerus, Terengganu, Malaysia.
Corespondent Email: roslanabr@unisza.edu.my

Received: 19 January 2024 *Accepted: 27 February 2024* *Published: 29 March 2024*

Abstract: Muslim thinkers had important contributions to economic thought and addressing societal problems, including Ibn al-Azraq's contribution through his book "Bada'i' al-Silki fi Taba'i' Al-Mulki" Ibn al-Azraq wrote his book in the ninth century AH, and intended to summarize what scholars before him had written in the chapter on kingship, emirates, and politics. Among the problems Ibn al-Azraq dealt with in his book was the problem of poverty in the Islamic State, and he was able to offer many solutions to it. The overall result of the research emphasized the good contribution and intellectual precedence in the economic and social field of Ibn al-Azraq on the subject of the problem of poverty and the proposing of many solutions to it

Key words: Poverty, Ibn al-Azraq, Bada'i' al-Silki fi Taba'i' Al-Mulki.

ملخص : كان للمفكرين المسلمين مساهمات مهمة في الفكر الاقتصادي ومعالجة مشكلات المجتمع، ومنها مساهمة ابن الأزرق من خلال كتابه «بدائع السلك في طبائع الملك»، فقد كتب ابن الأزرق كتابه في القرن التاسع الهجري، وقصد منه تلخيص ما كتب العلماء قبله في باب الملك والإمارة والسياسة، وكان مما تعرض له ابن الأزرق في ثنايا كتابه مشكلة الفقر في الدولة الإسلامية، واستطاع أن يقدم لها حلولًا كثيرة. وكانت نتيجة البحث الإجمالية تؤكد على الإسهام الطيب والسبق الفكري في المجال الاقتصادي والاجتماعي لابن الأزرق في موضوع مشكلة الفقر وطرح كثير من الحلول لها.

الكلمات المفتاحية: الفقر، ابن الأزرق، بدائع السلك وطبائع الملك.

Cite This Article:
Nasr 'Abduh 'Ali Muhammad Al-Salawi & Roslan Abdul Rahman. 2024. 'Ilaj Mushkilah al-Faqr 'inda Ibn al-Azraq min Khilal Kitabihi ((Bada'i' al-Silki fi Taba'i' al-Mulki [Treating The Issue of Poverty Based on Ibn Al-Azraq's Point of View Through His Book: "Bada'i' Al-Silki Fi Taba'i' Al-Mulki"]. *International Journal of Advanced Research in Islamic Studies and Education (ARISE)*, 4(1), 98-109.

المقدمة

فإن مشكلة الفقر من أكبر المشكلات الاجتماعية التي حظيت باهتمام كبير من طرف العلوم الاجتماعية بمختلف تخصصاتها، فقد شكلت إحدى أكبر معضلات العصر التي تؤرق كاهل الإنسانية بحكم حجمها الآخذ في الازدياد؛ كونه يعمل على إعاقة تطور المجتمعات وتحسين مستويات المعيشة بها، وبحكم أهمية ظاهرة ومشكلة الفقر قامت الشريعة الإسلامية بمعالجة هذه المشكلة وقدمت الحلول الحاسمة لها، وقد قام العلماء والمفكرون ببيان هذا المنهج الإسلامي من خلال كتاباتهم، ومن هؤلاء العلماء ابن الأزرق رحمه الله، فقد ألف كتابه: «بدائع السلك في طبائع الملك»، وهو من كتب السياسة الشرعية التي قصد بها مؤلفه أن يلخص ما كتبه العلماء قبله في باب الملك والإمارة والسياسة، وكان مما تعرض له ابن الأزرق في ثنايا كتابه مشكلة الفقر في الدولة الإسلامية، واستطاع أن يقدم لها حلولًا كثيرة، وهذا هو موضوع بحثنا.

أسباب اختيار الموضوع

1- التأكيد على الدور الريادي للفكر الإسلامي لا سيما في حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية.
2- بيان درجة مساهمة علماء المسلمين لا سيما ابن الأزرق في النظريات الاقتصادية والازدهار الفكري.
3- لأن كتاب «بدائع السلك وطبائع الملك» تعرض لمواضيع اقتصادية واجتماعية مهمة؛ ومنها مشكلة الفقر.
4- لأن مشكلة الفقر من أهم الموضوعات التي يجب على الدول الإسلامية الاهتمام بها.

أهداف البحث:

1- التعريف بابن الأزرق وكتابه «بدائع السلك في طبائع الملك».
2- بيان الحلول التي قدمها ابن الأزرق في كتابه حيال مشكلة الفقر، وكيفية مواجهتها في الدولة الإسلامية.
3- الاستفادة من الحلول التي قدمها ابن الأزرق في حياتنا المعاصرة.

الدراسات السابقة

- «الأخلاق السياسية في فكر أبي عبد الله ابن الأزرق الأندلسي»: للدكتور رضا شعبان، وهو بحث منشور بمجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد (32)، 2015م، جامعة باتنة، وقد تناول البحث بيان منزلة الأخلاق في السياسة والتأكيد على ضرورتها في تحقيق التوازن بين مصالح الناس في دولة المسلمين، وذلك من خلال الآراء والأفكار التي أودعها ابن الأزرق في كتابه «بدائع السلك في طبائع الملك».

- «الكسب ودلالاته الاقتصادية في فكر ابن الأزرق المالكي في كتابه بدائع السلك في طبائع الملك»: للدكتور صالح أحيد العلي، وهو بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (37)، العدد (1)، 2021م، وقد تناول البحث الأفكار الاقتصادية التي تناولها كتاب «بدائع السلك» في مجال الكسب والإنتاج، فبين حقيقة الكسب وعلاقته بالإنتاج، وأنواعه وحكمه وأهم آدابه ووسائله من الأنشطة الاقتصادية.
- «المعارف الاقتصادية في كتاب بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق»: للدكتور زمان عبيد وناس، والدكتور إياد عبد المحسن صيهود، وهو بحث منشور بمجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد (5)، العدد (3)، 2007م، وقد تناول البحث المعارف الاقتصادية التي تناولها ابن الأزرق في كتابه، وهي في حفظ المال والسكة وأنواع الصناعات الشريفة وغير الشريفة فضلًا عن التجارة.
- «السياسة المالية والنقدية في فكر ابن الأزرق في كتابه بدائع السلك في طبائع الملك»: للباحث فراس أحمد صالح، وهو بحث منشور بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، المجلد (35)، العدد (123)، 2020م، وقد تناول الباحث الأفكار الاقتصادية المتعلقة بالسياسة المالية التي تناولها ابن الأزرق في كتابه، وهي نظرته إلى المال، كما بين الأفكار التي ذكرها ابن الأزرق حول السياسة النقدية.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي والمناهج الاستقرائية والاستنباطية من خلال تتبع النصوص والعبارات في كتاب ابن الأزرق «بدائع السلك في طبائع الملك» وقراءتها بعمق وتحليلها واستنباط الأفكار منها.

التعريف بابن الأزرق الأندلسي

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي بن قاسم بن مسعود الأصبحي الغرناطي الأصل المالقي الوادي آش، ويعرف بابن الأزرق، ولد سنة (831هـ) ببلدة مالقة، وهي إحدى ولايات غرناطة على عهد ملوك بني نصر، وقد سقطت هذه البلدة بأيدي الأسبان سنة (892هـ) بعد قتال شديد بين الأسبان والمسلمين.

وقد نشأ ابن الأزرق بمسقط رأسه (مالقة)، وبها ترعرع في رياض العلوم والمعارف؛ فبدأ بحفظ القرآن الكريم وبعض المصنفات العلمية والأدبية، حسب عادات أهل الأندلس في التربية والتعميم آنذاك، ومن خلال كتاباته نستدل على أنه نشأ في بيت دين وعلم.

شغل ابن الأزرق وظائف كثيرة، حيث تولى منصب القضاء في غرناطة والقدس الشريف؛ فكان الناس يحبونه ويرضون عن أحكامه، كما شغل وظيفة السفارة مما مكّنه من زيارة تلمسان وتونس والقاهرة، كما تطوع لممارسة وظيفة التدريس والإفتاء، فكان له تلامذة كثيرون.

كان لابن الأزرق الكثير من المؤلفات؛ منها شرح لمختصر خليل سماه: «شفاء الغليل»، وكتاب «روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام»، و«الإبريز المسبوك في كيفية أدب الملوك»، كما كان له تقاييد مفيدة وفتاوى نافعة. وبعد حياة حافلة في العلم والتعليم، تُوفي ابن الأزرق رحمه الله سنة (896هـ) في القدس الشريف (Ibn al-Qadi, 1971).

التعريف بكتاب بدائع السلك في طبائع الملك

من أهم مؤلفات ابن الأزرق كتابه «بدائع السلك في طبائع الملك»، وهذا الكتاب اعتبره بعض الباحثين من أعظم ما كُتب في الاجتماع والسياسة لدى المسلمين، فهو لا يقل أهمية عن «مقدمة ابن خلدون»، والمتصفح لهذا الكتاب يجد أن كثيرًا من المواضع يتشابه فيها كلام ابن الأزرق مع كلام ابن خلدون، بل يمكن القول بأن ابن الأزرق تجاوز ابن خلدون أو لخَّصه، واستعان به بوضوح جريء في أفكار كثيرة، بل وردد أحيانًا كلمات وجملًا من المقدمة (Abd al-Amir Shams al-Din, 1984).

والمؤكد أن قيمة هذا الكتاب تتجلَّى في اختيار المصادر النفيسة التي لخصها ابن الأزرق، أو نقل عنها ما هو في حاجة إلى نقله حرفيًّا، ويزيد في قيمته عندما توَّجه بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وأقوال الحكماء؛ فكانت أفكاره مترابطة ومتناسقة تناسقًا لا اختلال فيه.

وقد تحدث ابن الأزرق في كتابه عن حقيقة الملك والخلافة وسائر أنواع الرئاسات، وعما يطالب به السلطان تشييدًا لأركان الملك وتأسيسًا لقواعده، وعن واجبات السلطان، وذكر أمورًا جمّة تندرج ضمن علمي الاجتماع والسياسة، فالكتاب جدير بعناية الباحثين لسبر أغواره، وكشف أسراره، واستخراج قواعده، واستنباط أحكامه.

يقول ابن الأزرق واصفًا كتابه: «فإن من أشهر ما عُلم عقلًا وسمعًا، وجمع فيه بشرط القبول لبرهانه المقبول جمعًا، أن الملك صورة العمران البشري وقراره، ومعناه الذي يشتمل عليه فوائد الاحتياج وأسراره، وإني لما رأيت من ذلك ما هو أنور من شمس الظهيرة، وأجلى في الظهور عند الخاصة والجمهور من القضايا الشهيرة، قصدت إلى تلخيص ما كتب الناس في الملك والإمارة والسياسة التي رعيها على الإسعاد بصلاح المعاش والمعاد أصدق إمارة، على نهج يكشف من محيا الحكمة قناع الحجاب، ويأتي في تقريره لتهذيب ما فضل من تحريره بالعجب العجاب، لأتحف به من تشوف لهذا الغرض ولم يعدل فيه من الجوهر إلى العرض، من أمير صدقت فيه رغبته وظهرت، ومأمور وضحت به دلائل الإفادة به وبهرت، ولما اشتمل على كثير من أحوال الملك والدول، وأمتع إيراده لمختار مراده من

حكم الأواخر والأول، أبدى من أسرار الخليفة عجائب غريبة، وقرر لها من برهان العقل السليم ما كفاه في التسليم والشكوك المريبة، سميته: بدائع السلك في طبائع الملك» (al-Azraq, t.th).

ويظهر أن دافع ابن الأزرق لتأليف كتابه هو الظروف التي عاشها في بلاد الأندلس والمغرب، فهو يريد أن يثبت أن التاريخ لا يتوقف، وأن الدورة الحضارية لا تتوقف، وأنه بقيام الملوك والرعية على النظام الشرعي الذي جاء به الإسلام تكون صلاح أحوالهم وقيام دولتهم.

مشكلة الفقر عند ابن الأزرق والحلول التي قدمها

الفقير لغةً:

فعيل بمعنى فاعل، يقال: فَقِرَ يفْقَرُ: إذا قلَّ ماله، هو ضد الغني، وهو من قلَّ ماله، والفقر عبارة عن: فقد ما يُحتاج إليه؛ أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يُسمَّى فقرًا (al-Fayyumi, t.th).

أما الفقير عند الفقهاء:

فعند الحنفية: من يملك ما لا يبلغ نصابًا ولا قيمته من أي مال كان ولو صحيحًا مكتسبًا (al-Tahtawi, 1997).
وعند المالكية: من يملك شيئًا لا يكفيه قوت عامه (al-Dusuqi, t.th).
وعند الشافعية والحنابلة: من لا يملك شيئا البتة، أو يجد شيئًا يسيرًا من مال أو كسب لا يقع موقعًا من كفايته (al-Shirbini, t.th).

أما الفقر عند علماء الاقتصاد:

فهو الحالة التي لا يكفي فيها دخل الأسرة في إشباع حاجاتها الأساسية للمحافظة على بنائها المادي والنفسي والاجتماعي، وله نتائج خطيرة على الصحة ونوع الثقافة السائدة في حياة الأسرة ما يتوفر لها من فرص التعليم (Mahmud Hasan, 1981).

وقد قام ابن الأزرق من خلال كتابه «بدائع السلك في طبائع الملك» بالتعرض لمشكلة الفقر مع تقديم الحلول الشرعية لها، وسوف يبين الباحث الحلول التي قدمها ابن الأزرق لمشكلة الفقر، وذلك من خلال ما يلي:

أولًا: الزكاة:

من المعلوم من الدين بالضرورة أن الزكاة ركن من أركان الإسلام، وهي من الطاعات التي تجمع بين مصالح الآخرة والدنيا، فهي مصلحة في الآخرة لباذلها، وفي الدنيا لآخذها، وبهذا قد اجتمع فيها الحقان: حق الله تعالى، وحق العباد، فهي قربة إلى الله تعالى من وجه، ونفع لعباده من وجه آخر، والغرض الأظهر من فرضها هو نفع عباد الله وإصلاحهم (Iz ‘Abd al-Salam, t.th‘).

والزكاة لها أهداف عظيمة مما له الأثر في حياة الفرد والجماعة، وتدور بدورها أصلًا حول تنمية الإنتاج وتأمين التشغيل الكامل لموارد المجتمع المسلم المادية والبشرية، ومحاربة الاكتناز، وتقليل التفاوت في توزيع الثروات والدخول بين الأفراد وفك الرقاب، وكفالة الغارمين وغير القادرين على العمل من الفقراء والمساكين في تنظيم متميز من التأمين أو الضمان الاجتماعي لذوي الحاجات، وغير ذلك من المصالح الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تتوخاها مصارفها الشرعية، ويُضاف إلى ذلك أن للزكاة أهدافًا أخرى روحية وأخلاقية سامية (Muhyi Muhammad Sa’ad, 1998).

وقد تعرض ابن الأزرق في كتابه «بدائع السلك» لأمر الزكاة ودورها في حل مشكلة الفقر وذلك من خلال ما يلي:

أ- التأكيد على أهميتها وأنها واجب شرعي: فقال: «الواجب الذي لا يسعه السخاء قسمان: واجب بالشرع؛ كالزكاة والنفقة، وواجب بالمروءة؛ كترك المصانعة والاستقصاء في المحقرات» (al-Azraq, t.th).

ب- بيان عاقبة تركها: فقد بين ابن الأزرق أن عاقبة ترك الزكاة هو الفساد، وليس فساد حياة الإنسان بل والبهائم أيضًا فقال: «وإذا ضُيعت الزكاة ماتتِ البهائم» (al-Azraq, t.th). ولعله استند إلى قول النبي ﷺ: «ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا» (Ibn Majah, t.th).

جـ- بيان أن من واجبات ولاة الأمور عقوبة من يمتنع عن أدائها: فقد أكَّد ابن الأزرق أن على السلطان أن يقوم بتعزير من يمنع الزكاة، فقال: «الجناية التي عقوبتها التعزير أنواع: ترك واجب؛ كمنع الزكاة» (al-Azraq, t.th).

ثانيًا: الإنفاق في وجوه البر على الفقراء والمساكين

النفقة: ما به قوام معتاد حال الآدمي دون سرفٍ (Ibn ‘Arafah, 2014). أو: هي الإدرار على الشيء بما به يقوم بقاؤه (al-Barkati, 2003). وقد تعرض ابن الأزرق في كتابه «بدائع السلك» لأهمية الإنفاق في وجوه البر مؤكدًا على أهمية ذلك ودوره في حل مشكلة الفقر وذلك من خلال ما يلي:

أ- الترغيب في الإنفاق في وجوه الخير وأنه سبب لتفريج الكربات وتحصيل الثواب الجزيل: قال ابن الأزرق: «المجاعة والغلاء والتوجه إلى الله تعالى برحمة المحتاج إلى الصدقة من أعظم ما تنفتح به أبواب الفرج»(al-Azraq, t.th). وقال: «وأعنِ الضعفاء وصلِ الرَّحم، وابتغ بذلك وجه الله تعالى وإعزاز أمره، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة» (al-Azraq, t.th). وقال: «قال الأستاذ أبو سعيد -ومن خطه نقلت-: فإذا كان في حاجة المساكين كان الله في حاجته وعونه فكشف عنه كربه. قال: ومن هنا سُميت الصدقة فراجة الكرب» (al-Azraq, t.th).

ب- حكايات الصالحين التي تؤكد على أهمية الإنفاق في وجوه الخير: قال ابن الأزرق: «وكان له دار مضيف يدخل إليها كل قادم على البلد من فقير أو صغير أو غيرهما» (al-Azraq, t.th). وقال أيضًا: «كان الوزير نظام الملك قد بنى دور العلم للفقهاء، وأنشأ المدارس للعلماء، وأسس الرباطات للعباد والزهاء وأهل الصلاح والفقراء» (al-Azraq, t.th).

وقال أيضًا: «وابتنى بالمدن المتصلة من العراق إلى الشام فنادق، وعيَّنها لنزول الفقراء وأبناء السبيل الذين تضعفت أحوالهم عن تأدية الأكرية، وأجرى على قومه تلك الفنادق والنازل ما يقوم بعيشهم، وعيَّن لهم ذلك في وجوه متأبدة لهم» (al-Azraq, t.th).

ثالثًا: الحث على العمل:

العمل: هو كل نشاط يبذله الإنسان عن وعي وقصد، ويحس بالألم حين يبذله، وهدفه من بذله هو خلق الأموال -أي: الأشياء- التي تشبع الحاجات بطريق مباشر وغير مباشر(Abd al-Rahim Buwadaqji, 1986'). وقيل: هو الجهد البدني والعقلي الذي يبذله الإنسان في مجال النشاط الاقتصادي المشروع لغرض الكسب والعيش، سواء أكان ذلك في القطاع الزراعي، أم التجاري، أم الصناعي، أم في ميدان الخدمات العامة أو الخاصة (Sadiq Mahdi al-Sa'id, t.th).

وقد تعرض ابن الأزرق في كتابه «بدائع السلك» لأمر العمل والكسب مؤكدًا على أهمية ذلك ودوره في حل مشكلة الفقر، وذلك من خلال ما يلي:

أ- التأكيد على أن السعي على المعايش والتكسب أمر مطلوب شرعًا: قال ابن الأزرق: «الاكتساب للمعاش مطلوب شرعًا ما لم يمنع منه مانع، كما أن تركه مع القدرة عليه مذموم كذلك أو مفضول» (al-Azraq, t.th).

ب- بيان أن الكسب قيمة الأعمال الإنسانية، فقال: «الكسب هو قيمة الأعمال الإنسانية، أما بالصانع فظاهر، وأما ما ينضم لبعضها كالخشب مع النجارة والغزل مع الحياكة فالعمل فيه أكثر، فقيمته أزيد، وأما بغيرها فلا بد في قيمته من قيمة العمل الذي به حصوله» (al-Azraq, t.th).

جـ- بيان تفاوت الناس في الكسب حسب أخذهم بأسبابه: قال ابن الأرزق: «والبدوي ضعيف مادة المعاش؛ لسكناه بمكان سوق العمل الذي هو سبب الكسب، فلا يفي بمطالب المصر بذلك، وكذلك يتعذر عليه سكناه لا محالة» (al-Azraq, t.th).

رابعًا: الوقف:

هو تحبيس مالك مطلق التصرف ماله المنتفع به مع بقاء عينه بقطع تصرفه وغيره في رقبته يصرف ريعه إلى جهة برٍّ تقربًا إلى الله تعالى (al-Mardawi, t.th).

والوقف من خصائص الإسلام ومميزات نظامه العام، وسمات حضارته الرائدة، وهو من أعظم النظم الاجتماعية التي أثرت في عمران البلاد الإسلامية، وأخلاق أهلها، كما أنه من أعظم سبل الخير وأقدسها، وطرق البرّ وأنفعها، والوقف يُبتغى به إيصال الخير والنفع للموقوف عليهم، والقيام بعمل عام يستهدف فائدة الجميع، فهو نظام مشروع كان له خلال العصور الماضية دور رئيس في قيام المؤسسات الاجتماعية وتنفيذ نظام التكافل الاجتماعي على وجه يضمن تحقيق العدالة الاجتماعية لمختلف الفئات، أو يقرب التفاوت بين الطبقات (Hamad ʻAbd al-ʻAziz ʻAbd Allah, 1996).

وقد تعرض ابن الأزرق في كتابه «بدائع السلك» لأمر الوقف مؤكدًا على دوره في حل مشكلة الفقر وذلك من خلال ما يلي:

أ- ذكر دور الوقف وآثاره الحسنة قال ابن الأزرق: «فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط، ووقفوا عليها الأوقاف المغلة، يجعلون فيها شركاء لولدهم ونصيبًا ينظر عليها ويصيب منها، مع ما فيهم غالبًا من الجنوح إلى الخير والتماس الأجور في المقاصد والأفعال، فكثرت الأوقاف لذلك، وكثر طالب العلم ومعلمه ومتعلمه بكثرة جرايتهم منها، وارتحل الناس إليها في طلب العلم من العراق والمغرب، ونفقت فيها أسواق العلوم، وزخرت بحارها، والله يخلق ما يشاء» (al-Azraq, t.th).

ب- ذكر حكايات الصالحين عن بناء الأوقاف: قال ابن الأزرق: «وبنى للصوفية زاويتين فيهما خلق كثير من المقيمين والواردين، ويجتمع في أيام المواسم فيها خلق كثير، ولهما أوقاف وافرة تقوم بجمع ما يحتاج إليه ذلك الجمع» (al-Azraq, t.th).

خامسًا: حسن الخلق مع الفقراء

حسن الخلق: هو سلامة النّفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى وقد يكون فيما بين الناس (Bayhaqi, 2003).

ولا شك أن لحسن الخلق مع الفقراء دور كبير في حل لآثار مشكلة الفقر، وإزالة الأحقاد بين الأغنياء والفقراء، وإشاعة الود والمحبة بين طبقات المجتمع، وقد تعرض ابن الأزرق في كتابه «بدائع السلك» لدور حسن الأخلاق مع الفقراء، وذلك من خلال ما يلي:

أ- إنصاف المستضعفين والفقراء والتواضع معهم وسماع شكواهم: قال ابن الأزرق: «وإنصاف مستضعف من أنفسهم، وتبذل في أحوالهم، وتواضع مع مسكين، وسماع شكوى» (al-Azraq, t.th).

ب- مجالسة الفقراء ومؤاكلتهم: قال ابن الأزرق: «يجالس الفقراء، يؤاكل المساكين» (al-Azraq, t.th).

جـ- الرفق بالضعفاء والفقراء: قال ابن الأزرق: «وليكن على الضعيف رفيقًا» (al-Azraq, t.th).

سادسًا: الاقتصاد في المعيشة والتحذير من الإسراف:

الاقتصاد في المعيشة من أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمن فقد المال واستعمل القناعة والاقتصاد في المعيشة فإنه يتيسر له في الحال ما يكفيه، فلا يضطرب لأجل المستقبل (Ghazzi, 2011). والإسراف: هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر (al-Asfahani, 1412). وقيل: هو صرف الشيء فيما لا ينبغي زائدًا على ما ينبغي (al-Kafawi, t.th).

وقد جاء الإسلام بأعدل الشرائع وأقومها وأكثرها واقعية، فإنه بنظرته الصحيحة للإنسان أحل له الطيبات وحرم عليه الخبائث، وشرع طلب الرزق، وأحل المكاسب الخالية من الضرر، فالاعتدال هو جوهر الإسلام في كل الأنشطة البشرية، فالإسلام ينهى عن التقتير كما ينهى عن الإسراف، ولا شك أن الإسراف سبب في فساد المجتمعات وتفشي مشكلة الفقر.

وقد تعرض ابن الأزرق في كتابه «بدائع السلك» لمسألة الاقتصاد في المعيشة والتحذير من الإسراف مؤكدًا عليهما في علاج مشكلة الفقر، وذلك من خلال ما يلي:

أ- بيان أن الاقتصاد من الأخلاق المحمود: قال ابن الأزرق: «الاقتصاد خلق محمود يتولد بين عدل المنع والبذل من حسن الظن، وحكمه وضع كل منهما موضعه» (al-Azraq, t.th).

ب- بيان عاقبة الاقتصاد في الدنيا والآخرة: قال ابن الأزرق: «والاقتصاد في أمورك أدوم لسلامتك وأغض لطرفك» (al-Azraq, t.th). وقال: «وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها، فليس شيء أبين نفعًا ولا أحسن أمنًا ولا أجمع فضلًا منه، والقصد داعية إلى الرشد والرشد، دليل على التوفيق، قائد إلى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد، فآثره في دنياك كلها» (al-Azraq, t.th).

جـ- التأكيد على أن الإسراف كفران لنعمة المال: قال ابن الأزرق: «الكفران بتصريف النعمة في المعصية إما بترك الاستعمال جملة، أو تعلقها بها مخالفة، فالنقدان مثلًا إن نُفقا في طاعة واجبة أو مندوبة فشكران، وإن كُنزا تعطيلًا لحكمة الانتفاع بهما فكفران، والمعاملة بهما بالربا وإنفاقهما في سرف أو محظور أو صوغهما آنية أسوأ في الكفران من مجرد اكتنازها فقط» (al-Azraq, t.th).

د- الإسراف سبب لزوال الدول: وقال ابن الأزرق: «التفنن في الحضارة تعظم به النفقة المتضاعفة بغلاء المصر، ويخرج عن القصد سرفها حتى يذهب بطارف الكسب وتالده».

هـ- الإسراف سبب للفقر والذل: قال ابن الأزرق: «واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف؛ فإنهما يعقبان الفقر، ويذلان الرقاب، ويفضحان أهلهما» (al-Azraq, t.th).

الخاتمة:

تناول هذا البحث «علاج مشكلة الفقر عند ابن الأزرق من خلال كتابه: بدائع السلك وطبائع الملك»، ومن المعلوم أن لكل عمل علمي نتائج وثمرات في نهايته، وقد توصلتُ إلى عدد من النتائج والتوصيات أثناء عملي، أريد أن أسجلها فيما يلي:

أولًا: نتائج البحث

1- قامت الشريعة الإسلامية بمعالجة مشكلة الفقر وقدمت الحلول الحاسمة لها، وقد قام العلماء والمفكرون ببيان هذا المنهج الإسلامي من خلال كتاباتهم، ومن هؤلاء العلماء ابن الأزرق.

2- يعتبر كتاب «بدائع السلك في طبائع الملك» لابن الأزرق من أعظم ما كُتب في الاجتماع والسياسة لدى المسلمين، مع اشتماله على المصادر النفيسة التي لخصها ابن الأزرق أو نقل عنها.

3- تعرض ابن الأزرق من خلال كتابه «بدائع السلك» لمشكلة الفقر في الدولة الإسلامية، واستطاع أن يقدم لها حلولًا كثيرة، كان من أهمها: الزكاة، والإنفاق في وجوه الخير، والحث على العمل، والوقوف، وحسن الخلق مع الفقراء، والاقتصاد في المعيشة والتحذير من الإسراف.

ثانيًا: التوصيات

- يوصي الباحث بالاهتمام بإبراز القيمة العلمية لكتب التراث الإسلامي، لا سيما كتاب ابن الأزرق: «بدائع السلك في طبائع الملك»؛ وذلك لأنه يتضمن أفكارًا وحلولًا لكثير من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية وموضوعات في مجال السياسة الشرعية تصلح مشروعات بحوث ورسائل علمية.
- أوصي المؤسسات العلمية والجامعات الشرعية بالاهتمام بمثل هذه البحوث وبدارسيها.

References

‘Abd al-Amir Shams al-Din. 1984. *Al-Fikr al-Tarbawi ‘Inda Ibn Khaldun wa Ibn al-Azraq*. Lubnan: Dar Iqra’ li al-Nashr wa al-Tawzi’ wa al-Tiba’ah.

‘Abd al-Rahim Buwadaqji. 1986. *Mabadi’ fi ‘Ilm al-Iqtisad wa al-Mazahib al-Iqtisadiyyah*. t.tp.: Matba’ah al-Dawudi.

Abu Muhammad ‘Iz al-Din ‘Abd al-‘Aziz bin ‘Abd al-Salam bin Abi al-Qasim bin al-Hasan al-Sulami al-Dimashqi. t.th. *Qawa’id al-Ahkam fi Masalih al-Anam*. Kaherah: Maktabah al-Kulliyat al-Azhariyyah.

Al-Bahuti, Mansur bin Yunus bin Idris. t.th. *Sharh Muntaha al-Iradat*. Beirut: Dar al-Fikr li al-Tiba’ah wa al-Nashr wa al-Tawzi’.

Al-Bahuti, Mansur bin Yunus bin Salah al-Din ibn Hasan bin Idris al-Hanbali. t.th. *Kashshaf al-Qana’ ‘an Matn al-Iqna’*. Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Al-Barkati, Muhammad ‘Amim al-Ihsan al-Mujaddadi. 2003. *Al-Ta’rifat al-Fiqhiyyah*. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Al-Bayhaqi, Ahmad bin al-Husayn. 2003. *Sha’b al-Iman*. Riyad: Maktabah al-Rushd li al-Nashr wa al-Tawzi’.

Al-Dusuqi al-Maliki, Muhammad bin Ahmad bin ‘Arafah. t.th. *Hashiyyah ‘ala al-Sharh al-Kabir*. Beirut: Dar al-Fikr.

Al-FayruzAbadi, Majd al-Din Abu Tahir Muhammad bin Ya’qub. 2005. *Al-Qamus al-Muhit*. Beirut: Mu’assasah al-Risalah li al-Tiba’ah wa al-Nashr.

Al-Fayyumi, Ahmad bin Muhammad bin ‘Ali al-Fayyumi. t.th. *Al-Misbah al-Munir fi Gharib al-Sharh al-Kabir*. Beirut: al-Maktabah al-‘Ilmiyyah.

Al-Gharib al-Asfahani, Abu al-Qasim al-Husayn bin Muhammad. 1412. *Al-Mufradat fi Gharib al-Qur’an*. Beirut: Dar al-Qalam.

Al-Ghazzi al-Damshiqi al-Shafi’I, Najm al-Din Muhamad bin Muhammad al-‘Amiri al-Qurashi. 2011. *Husn al-Tanabbuh lima warada fi al-Tashabbuh*. Syria: Dar al-Nawadir.

Al-Haddadi, Zayn al-Din Muhammad al-Mad’u bi ‘Abd al-Ra’uf bin Taj al-‘Arifin bin ‘Ali bin Zayn al-‘Abidin al-Manawi al-Qahiri. 1990. *Al-Tawqif ‘ala Muhimmat al-Ta’arif*. Kaherah: ‘Alim al-Kutub.

Ibn al-‘Arafah, Muhammad bin Muhammad al-Waraghmi al-Tunisi al-Maliki. 2014. *Al-Mukhtasar al-Fiqhi*. t.tp.: Mu’assasah Khalaf Ahmad al-Khabtur li ‘Amal al-Khayriyyah.

Ibn al-Azraq, Muhammad bin ‘Ali bin Muhammad al-Asbahi al-Andalusi Abu ‘Abd Allah Shams al-Din al-Gharnati. t.th. *Bada’i’ al-Silki fi Taba’i al-Mulki*. Iraq: Wizarah al-‘Alam.

Ibn al-Qadi, Abu al-Abbas Ahmad bin Muhammad al-Maknasi. 1971. *Durrah al-Hijal fi Asma’ al-Rijal*. Kaherah: Dar al-Turath.

Ibn Majah, Abu ‘Abd Allah Muhammad bin Yazid al-Qazwini. t.th. *Al-Sunan*. Beirut: Dar Ihya’ al-Kutub al-‘Arabiyyah.

Al-Kafawi, Ayyub bin Musa al-Husayni al-Qarimi, Abu al-Baqa’ al-Hanafi. *Al-Kulliyat*. Beirut: Mu’assasah al-Risalah.

Mahmud Hasan. 1981. *Al-Usrah wa Mushkilatuha*. t.tp.: Dar al-Nahdah al-‘Arabiyyah li al-Tiba’ah wa al-Nashr.

Al-Mardawi, ‘Ala’ al-Din Abu al-Hasan ‘Ali bin Sulayman. t.th. *Al-Insaf fi Ma’rifah al-Rajih min al-Khilaf*. Beirut: Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabiyy.

Muhammad bin ‘Abd al-‘Aziz ‘Abd Allah. 1996. *Al-Waqf fi al-Fikr al-Islami*. Al-Maghrib: Wizarah al-Awqaf wa al-Shu’un al-Islamiyyah.

Muhyi Muhammad Sa’ad. 1998. *Al-Itar al-Qanuni li al-‘Alaqah bayn al-Mamul wa al-Idarah al-Daribiyyah*. t.tp.: Maktabah al-Ish’a’.

Sa’di Abu Habib. 1988. *Al-Qamus al-Fiqhi*. Damshiq: Dar al-Fikr.

Sadiq Mahdi. t.th. *Al-‘Amal wa al-Daman al-Ijtima’i fi al-Islam*. Baghdad: Matba’ah al-Ma’arif.

Al-Shirbini, Shams al-Din Muhammad bin Ahmad al-Khatib al-Shafi’i. t.th. *Al-Iqna’ fi Halli Alfaz Abi Shuja’*. Beirut: Dar al-Fikr.

Al-Tabankati, Ahmad Baba bin Ahmad bin al-Faqih al-Haj Ahmad bin ‘Umar bin Muhammad al-Takruri. 2000. *Nayl al-Ibtihaj bi Tatriz al-Dibaj*. Tarabulis: Dar al-Katib.

Al-Tahtawi al-Hanafi, Ahmad bin Muhammad bin Isma’il. 1997. *Hashiyyah ‘ala Maraqi al-Falah Sharh Nur al-Idah*. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Al-Tuwaijiri, Muhammad bin Ibrahim bin ‘Abd Allah. t.th. *Mawsu’ah Fiqh al-Qulub*. t.tp.: Bayt al-Afkar al-Dawliyyah.

Yusuf al-Qardawi. 1973. *Fiqh al-Zakat*. t.tp.: Mu’assah al-Risalah.

Al-Zarkali, Khayr al-Din bin Mahmud bin Muhammad bin ‘Ali bin Faris. 2002. *Al-‘Alam*. t.tp.: Dar al-‘Alam al-Malayin.